

في التذلل لله، والإلحاح عليه سبحانه من أدعية الصحيفة السجادية

إعداد: «شعائر»

إِلَهِي أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْوَاجِبِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الَّذِي أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، وَبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي لَا يَنْبَلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَلَا يَحُولُ وَلَا يَفْتَنُ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُغْنِيَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بَعِيدَتِكَ، وَأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ، وَأَنْ تُثَنِّبَنِي (تُثَبِّتَنِي) بِالْكَثِيرِ مِنْ كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ.

فَإِلَيْكَ أَفْرُ، وَمِنْكَ أَخَافُ، وَبِكَ أَسْتَعِيثُ، وَإِلَيْكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ، وَبِكَ أَتَوَكَّلُ، وَإِلَيْكَ أَسْتَعِينُ، وَبِكَ أُوْمِنُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَكَلُّ.

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّذَلُّلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
رَبِّ أَفْحَمْتَنِي ذُنُوبِي، وَأَنْقَطَعْتَ مَقَالَتِي، فَلَا حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الْأَسِيرُ بِبَيْتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُرْتَدُّ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيَّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطِعُ بِي.

قَدْ أَوْقَعْتُ نَفْسِي مَوْفَقَ الْأَذِلَّةِ الْمُنْذَبِينَ، مَوْفَقَ الْأَشْقِيَاءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَخْفِينَ بِوَعْدِكَ. سُبْحَانَكَ! أَيُّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ، وَأَيُّ تَعْرِيرٍ غَرَرْتُ بِنَفْسِي!

مَوْلَايَ ارْحَمْ كَبُوتِي لِجُرِّ وَجْهِي وَرَلَّةَ قَدَمِي، وَعُدِّ بِحِلْمِكَ عَلَيَّ جَهْلِي، وَبِإِحْسَانِكَ عَلَيَّ إِسَاءَتِي، فَأَنَا الْمُقَرَّبُ بِذُنُوبِي، الْمُعْتَرَفُ بِخَطِيئَتِي، وَهَذِهِ يَدِي وَنَاصِيَتِي، أَسْتَكِينُ بِالْقَوَدِ مِنْ نَفْسِي، ارْحَمْ شَيْبَتِي، وَنَفَادَ أَيَّامِي، وَاقْتِرَابَ أَجَلِي، وَضَعْفِي وَمَسْكَنتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي.

مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثْرِي، وَامْحَى مِنَ الْمُخْلُوقِينَ ذِكْرِي، وَكُنْتُ مِنَ الْمُنْسِيئِينَ كَمَنْ قَدْ نَسِيَ.

مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي عِنْدَ تَغْيِيرِ صُورَتِي وَحَالِي إِذَا بَلَى جِسْمِي، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالِي، يَا عَفْلَتِي عَمَّا يَرَادُ بِي.

مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي فِي حَشْرِي وَنَشْرِي، وَاجْعَلْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مَوْفِقِي، وَفِي أَجْبَائِكَ مَصْدَرِي، وَفِي جَوَارِكَ مَسْكَنِي، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

كَانَ مِنْ دُعَاءِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِلْحَاحِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى:

يَا اللَّهُ الَّذِي ﴿.. لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾، وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ - يَا إِلَهِي - مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ، وَكَيْفَ لَا تُخْصِي مَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ، أَوْ كَيْفَ يَغِيبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ، أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرَبَ مِنْكَ مَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ، أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَا مَذْهَبَ لَهُ فِي غَيْرِ مُلْكِكَ.

سُبْحَانَكَ! أَحْتَسَى خَلْقَكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ.

سُبْحَانَكَ! لَا يَنْفُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ أَشْرَكَ بِكَ، وَكَذَّبَ رُسُلَكَ، وَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ مَنْ كَرِهَ قَضَاءَكَ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَكَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ مَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَتِكَ، وَلَا يَفُوتُكَ مَنْ عَبَدَ غَيْرَكَ، وَلَا يُعَمِّرُ فِي الدُّنْيَا مَنْ كَرِهَ لِقَاءَكَ.

سُبْحَانَكَ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، وَأَفْهَرَ سُلْطَانَكَ، وَأَشَدَّ قُوَّتَكَ، وَأَنْفَدَ أَمْرَكَ!

سُبْحَانَكَ! قَضَيْتَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ: مَنْ وَحَدَكَ وَمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَكُلَّ ذَائِقِ الْمَوْتِ، وَكُلَّ صَائِرِ إِلَيْكَ، فَتَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

أَمَنْتُ بِكَ، وَصَدَّقْتُ رُسُلَكَ، وَقَبِلْتُ كِتَابَكَ، وَكَفَرْتُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِكَ، وَبَرِئْتُ مِمَّنْ عَبَدَ سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبِحُ وَأُمْسِي مُسْتَقِيلاً لِعَمَلِي، مُعْتَرِفاً بِذُنُوبِي، مُقِرّاً بِخَطَايَايَ، أَنَا بِإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي ذَلِيلٌ، عَمَلِي أَهْلِكُنِي، وَهَوَايَ أَرْدَانِي، وَشَهَوَاتِي حَرَمَتْنِي.

فَأَسْأَلُكَ يَا مَوْلَايَ سُؤَالَ مَنْ نَفْسُهُ لَاهِيَةٌ لِطُولِ أَمَلِهِ، وَبَدَنُهُ غَافِلٌ لِسُكُونِ عُرُوقِهِ، وَقَلْبُهُ مَفْتُونٌ بِكَثْرَةِ النَّعَمِ عَلَيْهِ، وَفِكْرُهُ قَلِيلٌ لِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ. سُؤَالَ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْأَمَلُ، وَفَتَنَتَهُ الْهَوَى، وَاسْتَمَكَّتْ مِنْهُ الدُّنْيَا، وَأَطْلَهَ الْأَجَلَ، سُؤَالَ مَنْ اسْتَكْتَرَتْ ذُنُوبَهُ، وَاعْتَرَفَتْ بِخَطِيئَتِهِ، سُؤَالَ مَنْ لَا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، وَلَا وَلِيَّ لَهُ دُونُكَ، وَلَا مُنْقِدَ لَهُ مِنْكَ، وَلَا مَلْجَأَ لَهُ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ.